دور النصوص الإسلامية في تحقيق وحدة الأمة :دراسة موضوعية

الباحث: الأستاذ المشارك الدكتور
محمد جنيد كوكجة
الوظيفة: جامعة ماردين ارتوكلو – كلية العلوم الإسلامية/علم الكلام والعقيدة
cuneytgokce@artuklu.edu.tr

الباحث: نوينه ر حمد امين شيخه
طالب دكتوراه– جامعة حران–
كلية الإلهيات/الكلام
nwenarshekha@gmail.com

الكلمات المفتاحية: وحدة الأمة، النصوص الإسلامية، الجماعة، التفرقة، القرآن الكريم، السنة النبوية.

كيفية اقتباس البحث
كوكجة، محمد جنيد ، نوينه ر حمد امين شيخه ، دور النصوص الإسلامية في تحقيق وحدة الأمة :دراسة موضوعية ،مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تموز ٢٠٢٦، المجلد:١٦، العدد:٧ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The Role of Islamic Texts in Achieving the Unity of the Ummah: An Analytical Study

Researcher: Associate Professor Dr. Muhammad Junaid Kokja
Position: Mardin Artuklu University - Faculty of Islamic Sciences/Theology and Creed

Researcher: Nuwayna R. Hamad Amin Sheikha
PhD Candidate - Harran University - Faculty of Theology/Kalam

Keywords : Unity of the Ummah, Islamic texts, the Jama‘ah, division, the Qur’an, the Sunnah.

How To Cite This Article
Kokja, Muhammad Junaid, Nuwayna R. Hamad Amin Sheikha, The Role of Islamic Texts in Achieving the Unity of the Ummah: An Analytical Study,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, July 2026,Volume:16,Issue 7.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This research offers an objective analytical study on the role of Islamic texts—namely, the Holy Qur’an and the noble Sunnah—in establishing the unity of the Muslim Ummah. The study highlights the centrality of the principle of *al-jama‘ah* (the collective body) as one of the major purposes of Islamic law (*maqasid al-shari‘ah*). It addresses the Qur’anic commands and Prophetic traditions related to unity and warns against division, citing foundational texts such as: “And hold firmly to the rope of Allah all together and do not become divided,” and the Prophet’s saying: “You must stick to the group, for the Hand of Allah is with the group.”

The study is based on the problem: How have Islamic texts contributed to affirming the principle of unity within the Ummah? And what are the key factors that have hindered its realization in the Muslim reality? The research seeks to outline the legal foundations of unity, analyze the key texts that support it, and identify the primary causes of

division, such as divergent interpretations and sectarian or political conflicts.

The research adopts an inductive-analytical method in tracing and examining relevant textual evidence within the framework of Islamic objectives. It also benefits from scholarly interpretations and exegetical commentary. The significance of the study lies in its focus on the scriptural dimension of unity-a topic often overlooked in contemporary discourse-by returning to the foundational guidance of revelation.

The study concludes that unity in Islam is not merely a sociopolitical necessity, but a legal and theological obligation. Islamic texts address it as part of creed and conduct, often linking disunity with tribulation, weakness, and defeat. The study recommends strengthening the discourse of unity in religious education, *da'wah*, and pedagogical programs, grounded in the foundational texts to foster enlightened collective awareness.

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة تحليلية موضوعية لدور النصوص الإسلامية، المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، في تحقيق وحدة الأمة الإسلامية. ويُبرز البحث مركزية مبدأ الجماعة بوصفه أحد المقاصد الكبرى في الشريعة الإسلامية، كما يعالج الأوامر والنواهي الشرعية المتعلقة بالاجتماع والافتراق، مستعرضًا أبرز الآيات والأحاديث التي تؤسس لهذا المفهوم، مثل قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾، وقول النبي ﷺ: "عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة".

ينطلق البحث من إشكالية مفادها: كيف أسهمت النصوص الإسلامية في ترسيخ مبدأ وحدة الأمة؟ وما الأسباب التي أدت إلى تعطيل هذا المبدأ في واقع المسلمين؟ ويسعى إلى بيان الأصول الشرعية للوحدة، وتحليل أبرز النصوص المؤسسة لها، مع رصد الأسباب التي تؤدي إلى الفرقة، كالاختلاف في تأويل النصوص والنزاعات المذهبية والسياسية.

وقد اعتمد البحث على المنهج التحليلي الاستقرائي في تتبع النصوص ذات الصلة، وتحليلها في ضوء مقاصد الشريعة، مع الاستئناس بأقوال المفسرين والشارحين. وتكمن أهمية البحث في تسليط الضوء على بعدٍ مهمل في كثير من الدراسات المعاصرة، وهو البعد النصّي في معالجة مشكلات الانقسام، من خلال العودة إلى الخطاب المؤسس الذي يُقدّم مفهوماً أصيلاً للوحدة.

خلصت الدراسة إلى أنّ وحدة الأمة ليست مجرد ضرورة اجتماعية أو سياسية، بل هي أصل شرعيّ واجب التحصيل، وأنّ النصوص الإسلامية تعالجها باعتبارها جزءًا من العقيدة

والسلوك، مقرونة بالتحذير من التفرق وآثاره. وأوصت الدراسة بتعزيز الخطاب الوحدوي في المناهج والبرامج الدعوية والتربوية، وربطه بالنصوص المؤسِّسة، بما يُسهم في بناء وعي جماعي مستنير.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين القائل: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾ **[آل عمران: ١٠٣]** وصلى الله وسلم وبارك على سيّد الأولين والأخرين المبعوث رحمة للعالمين الذي وحّد الله به عباده الصالحين وعلى آله وأصحابه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

إنّ من أبرز الخصائص التي امتازت بها الرسالة الإسلامية أنّها رسالة جماعية في مقصدها، وحدوية في خطابها، تقوم على تحقيق الاجتماع ونبذ التفرق، وتؤسس لوحدة عقدية وتشريعية واجتماعية متكاملة. وقد شكّل مفهوم وحدة الأمة الإسلامية أحد المحاور الكبرى التي عالجتها النصوص الشرعية، حيث وردت عشرات الآيات والأحاديث التي تؤكد على لزوم الجماعة، وتحذّر من آثار التشرذم والانقسام.

ولم يكن تناول الشريعة لهذا المفهوم من زاوية اجتماعية أو سياسية فحسب، بل قُدّم في إطار إيماني تعبدي، ليكون جزءًا من الدين، ومحورًا في بناء الأمة وهويتها الحضارية. فمن ذلك قوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾ **[آل عمران: ١٠٣]**، وقوله ﷺ: «من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

أهمية الموضوع وسبب اختياره

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج إحدى الإشكاليات المركزية التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم، في ظل واقع تكثر فيه أسباب التفرّق، وتتعدد فيه الرايات والانتماءات، وتتراجع فيه فاعلية النصوص الوحدوية في تشكيل الوعي العام. ومن هنا جاء اختيار هذا الموضوع استجابة لحاجة ملحة إلى تأصيل علمي متين لمفهوم الوحدة، يُعيد قراءة النصوص في سياقها الصحيح، ويكشف عن دلالاتها ومقاصدها، بعيدًا عن التوظيف الانتقائي أو المؤثرات السياسية والمذهبية.

كما أنّ هذا الموضوع يتميز بأصالته وارتباطه المباشر بمصادر الشريعة، ما يجعله مدخلاً لفهم كثير من المسائل المتعلقة ببناء الأمة، ومعالجة الانقسام، وتجديد الخطاب الدعوي والتربوي على أسس نصية واضحة.

منهجية الدراسة

وقد اعتمدت الدراسة في معالجتها لهذا الموضوع على المنهج التحليلي الاستقرائي، من خلال تتبع النصوص ذات الصلة، وتحليلها من حيث البناء والدلالة، مع الاستفادة من المنهج المقارن في عرض أقوال المفسرين والفقهاء في موضوع الجماعة والفرقة، وأثرها في وحدة الأمة.

وتهدف هذه الدراسة [١] إلى بيان الأصول النصية للوحدة، وتحليل مضامينها، وكشف أسباب انحراف الواقع عنها، واقتراح آليات عملية لإعادة تفعيلها في حياة الأمة ومؤسساتها المختلفة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أنْ تُبنى هذه الدراسة على خطة علمية تضمنت ثلاث مباحث رئيسة، توزعت على النحو الآتي:

- **المبحث الأول:** تأصيل مفهوم الوحدة في النصوص الشرعية، وذلك باستقراء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أرست مبدأ الجماعة ونهت عن التفرق، وتحليل دلالاتها العقدية والاجتماعية والتشريعية.
- **المبحث الثاني:** بيان مركزية النصوص الإسلامية في تشكيل الوعي الجمعي، من خلال تسليط الضوء على الأبعاد العقدية والتشريعية والسياسية التي ترسخها تلك النصوص، وأثرها في بناء وحدة الأمة.
- **المبحث الثالث:** استعراض أبرز أسباب التمزق والانقسام في ضوء النصوص، وتحليل دور الفهم المنحرف والتأويل المغلوط والنزاعات المذهبية والسياسية والإعلام المؤدلج في تعطيل فاعلية النص الوحدوي.

وقد خُتم البحث بجملة من النتائج والتوصيات التي تُسهم –إن شاء الله– في إعادة توظيف النصوص الإسلامية في خدمة وحدة الأمة.

١.المبحث الأول: تأصيل مفهوم الوحدة في النصوص الشرعية

تعد الوحدة من المفاهيم الجوهرية في بناء المجتمع الإسلامي لما لها من أثر في تثبيت الكيان العام للأمة، بل على ممارسة كثير من العبادات التي لا يمكن ممارستها وتطبيقها وإعطائها حقها إلّا بالوحدة التي هي بذاتها عبادة جماعية باعتبار وفردية باعتبار

١.١ تعريف الوحدة لغة واصطلاحا

"(وَحَدَ) الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحدة وهو واحد قبيلته إذا لم يكن مثله"[٢]، وقال الراغب الأصفهاني: الوحدة: الانفراد، والواحد في الحقيقة هو الشيء الذي لا جزء له البتة؛ ثم يطلق على كل موجود [٣].

وأمّا اصطلاحا فهي كل جماعة يجمعها أمر إمّا دين، وإمّا زمان، أو مكان واحد سواء كان الأمر الجامع تسخيرًا أم اختيارًا [٤]؛ فالتعريف يبين مفهوم الأمة ومعانيه فيطلق على: الدين [٥]، ومنها قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُون﴾ [الزخرف:٢٢]؛ أي: وجدنا آباءنا على دين وملة وإنا متبعوهم على ذلك [٦]، ويطلق على الجماعة [٧].

١.٢ الوحدة في القرآن الكريم

وردت دعوة القرآن إلى الوحدة إمّا بلفظها الصريح، وإمّا بمعناها ومقتضاها، في آيات كثيرة تؤكّد على وجوب الاجتماع وتحذّر من التفرّق، فتارةً يأتي الأمر بالاعتصام والاجتماع، وتارةً يقترن بالنهي عن الانقسام والتنازع. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وفي هذه الآيات دلالات لطيفة، منها الربط بين وحدة الأمة ووحدانية الربّ، وكأن المعنى أنّ الأمة لا تحقّق عبوديتها الخالصة لله إلّا إذا اجتمعت على دينه، وتخلّت عن سبل التمزّق. فكما أنّ الله واحد، ينبغي أن تكون الأمة على قلب واحد، لا في العقيدة فحسب، بل في الانتماء والولاء والطريق.

وقد قرن الله تعالى التنازع بالضعف، بل جعله سببًا مباشرًا للفشل وضياع القوة، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، أي: أنّ التنازع لا يؤدي فقط إلى الانقسام الداخلي، بل إلى فقدان الهيبة والفاعلية والتمكين الخارجي.

ومن أعظم منن الله على الأمة بعد الإسلام: أنّه جمع بين قلوبها وأزال ما كان بينها من بغضاء وعداوة في الجاهلية، يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالآيات الكريمة تُبيّن أنّ الوحدة ليست مسألة إجرائية أو سياسية، بل مبدأ إيماني وتشريعي أصيل، والاختلال فيه يُعد خروجًا عن منهج الله، وإهدارًا لنِعَمِه، وتفريطًا في مقوّمات النصر والعزة.

١.٣ الوحدة في السنة النبوية

جاءت السنة النبوية مؤكّدةً لمبدأ الوحدة، داعيةً إلى التزام الجماعة، ومحذّرةً من مظاهر الفُرقة والاختلاف. فقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك، منها قول النبي ﷺ: (والجماعة رحمة، والفرقة عذاب) [٨]، وهو نصٌّ جامع يدل على أنّ الاجتماع سبب للخير، والتفرق سبيل إلى العذاب والخذلان.

كما شبَّه النبي ﷺ العلاقة بين المؤمنين بعلاقة الأعضاء ببعض في الجسد الواحد، فقال: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [٩]، في تصوير بليغ يجسّد حقيقة التلاحم الشعوري والمصيري بين أفراد الأمة.

ولم تقتصر السنة على تأكيد الوحدة العاطفية والاجتماعية، بل تعدّت ذلك إلى الجانب السياسي والتنظيمي، فقد قال ﷺ: (من فارق الجماعة شبرا، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) [١٠]، ما يدل على أنّ الانفصال عن الجماعة ليس مجرد مخالفة تنظيمية، بل هو انحراف عن أصل من أصول الدين.

والمتأمل في مجمل هذه النصوص يدرك أنّ الوحدة المطلوبة في الإسلام شاملة لجوانب متعددة من حياة المسلم، فهي وحدة عقدية تقوم على التوحيد، ووحدة عاطفية تقوم على المحبة والولاء، ووحدة اجتماعية تتجلى في التراحم والتكافل، ووحدة سياسية تقوم على طاعة ولي الأمر واجتماع الكلمة.

ومن ثم، فإنّ السنة النبوية تؤسس لبنية وحدوية متكاملة، تجعل الجماعة أصلًا يُبنى عليه الولاء والبراء، وتربط مصير الأمة بتحقيق هذا الأصل في واقعها الفكري والسلوكي والمؤسسي.

٢.المبحث الثاني: دور النصوص الشرعية في ترسيخ الوعي الوحدوي في الأمة

إنّ النصوص الإسلامية –قرآناً وسنة– لم تكتفِ بإيراد الدعوة إلى وحدة الأمة كأمر تشريعي مجرد، بل جعلتها مرتكزًا في بنية الوعي الإسلامي، وجزءًا من الهوية العقدية والاجتماعية والسياسية للمسلم، بحيث تنشأ علاقة عضوية بين الإيمان ومبدأ الجماعة، وبين التديّن والسعي إلى توحيد الصفوف. وقد صدق من قال: "قد بنى الإسلام على دعامتين: كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة"[١١] وهذا ما تؤكده عشرات النصوص التي ترسم للمسلم صورة ذاته في سياق الأمة، لا في حدود الفرد المنعزل.

٢.١ مرتكزات الوحدة في العقيدة

الوحدة في الإسلام ليست إجراءً تنظيميًا ولا مطلبًا اجتماعيًا فحسب، بل هي أصل من أصول العقيدة. فالإيمان بوحدانية الله يقود بالضرورة إلى الإيمان بوحدة الأمة التي تعبده، يقول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء: ٩٢].

وقد بيّن العلماء أنّ التوحيد هو الأساس الذي يجمع الأمة، ويجعلها كيانًا موحَّدًا في مرجعيتها، وسلوكها، وغاياتها. وكل إخلال بهذا الأصل يُفضي إلى التمزق، لأن الأمة لا يمكن أن تجتمع على حق إلا إذا اجتمعت على توحيد الله، ونبذت سائر صور الشرك والتعصب والجاهلية.

ولذلك، كانت مفردة "الجماعة" عند السلف لا تعني فقط الكثرة العددية، بل تعني الاجتماع على الحق، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك"(١٢)، وإنْ فتشنا النصوص نجد حرص الشريعة وأصحابها على جمع كلمة المسلمين ولو كانوا مخالفين في آراء لهم، فلا يلزم المخالفة في الرأي الانعزال عن وحدة الأمة والجماعة.

٢.٢ وحدة الأمة في الأحكام الشرعية

لم تقتصر النصوص على بيان الوحدة العقدية، بل امتد أثرها إلى الجانب التشريعي والفقهي، حيث جاءت الأحكام الإسلامية موجَّهة إلى الأمة بصيغة الجمع، ممّا يرسّخ روح الجماعة في الامتثال، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الذي تكرر في أكثر من تسعين موضعًا، بصيغة تخاطب جماعة المسلمين لا آحادهم.

وتظهر الوحدة الشرعية أيضًا في العبادات الجماعية، كالصلاة في جماعة، وصيام رمضان، والحج، والأعياد، وكلها شعائر تُؤدى بصورة جماعية تعكس وحدة الزمان والمكان والممارسة. كما يظهر أثر الوحدة في نظام البيعة، والطاعة، وهي أحكام لا تطبق، بل لا تُفهم إلّا في سياق الجماعة.

وهذا المعنى أكّده النبي ﷺ حين قال: " من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية "(١٣)، ممّا يدل على أنّ مفارقة الجماعة ليست فقط خروجًا عن النظام، بل خروج عن أصل من بنية الإسلام نفسه.

٢.٣ التأصيل النصي لمبدأ الجماعة والتحذير من الانقسام

لم تقتصر النصوص الإسلامية على الحث العام على الجماعة، أو التحذير من التفرق، بل جاءت بمجموعة من الأحاديث والآيات التي أسست أصل الجماعة بوصفه مبدأً دينيًا محكمًا، لا يزول بتغير الزمان أو اختلاف الظروف، بل يُعدّ من معالم الهُوية الإسلامية، ومن ركائز البناء الاجتماعي والسياسي في الأمة.

فمن حيث التأصيل الشرعي، جاءت النصوص صريحة في ربط الجماعة بالإيمان، والطاعة بالشريعة، والفرقة بالانحراف والجاهلية، ومن ذلك قوله ﷺ: "من فارق الجماعة شبراً، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه"(١٤)، وهو نصٌّ يدل بوضوح على أنّ مفارقة الجماعة ليست مجرد خروج تنظيمي، بل خروج معنوي من أصل من أصول الإسلام الجامعة، وقد عبّر عنه النبي ﷺ بـ"خلع ربقة الإسلام"، ممّا يدل على فداحة هذا السلوك.

وفي حديث آخر، قال ﷺ: "من أتاكم وأمركم جميع على رجلٍ واحد، يريد أن يشق عصاكم، فاقتلوه"[١٥]، وهذا الحديث يرسّخ فكرة أن وحدة الكلمة ليست مجرد حالة مثالية، بل واجب تحفظه الأمة وتدافع عنه، وأنّ من يسعى إلى هدمها يُعدّ خطرًا وجوديًا على الجماعة.

كما ورد عنه ﷺ أنّه قال: "عليكم بالجماعة، فإنّ يد الله مع الجماعة"[١٦]، وقد فُهم هذا النص عند العلماء على أنّه تأكيد أنّ العناية الإلهية والتسديد الرباني ملازم للجماعة، لا للأفراد المتفرقين، ما يعني أنّ النصر والتمكين لا يُنالان إلّا ضمن بنية جماعية موحدة.

وقد انعكست هذه المعاني في فقه الصحابة والتابعين، حيث اعتُبر الخروج عن الجماعة من أعظم الفتن، وعدّوا الإمامة الجامعة، ولو مع وجود الخطأ، خيرًا من التمزق ولو تحت شعارات الإصلاح.

إنّ هذه النصوص تُؤسس لعقيدة الجماعة، لا باعتبارها خيارًا إداريًا، بل باعتبارها مكونًا دينيًا وتشريعيًا ثابتًا، يحمي الأمة من التفكك، ويجعل الطاعة والانتماء والجهاد والنصيحة تدور كلها في فلك جماعي متماسك، لا يترك للأهواء مجالًا للعبث، ولا للفرقة أن تتسلل إلى الصفوف.

وقد حرص النبي ﷺ في سيرته على ترسيخ الجماعة سياسيًا واجتماعيًا، فوحّد الأوس والخزرج، وأقام وثيقة المدينة، وأسس دولة قائمة على وحدة الانتماء إلى الدين لا إلى العرق أو القبيلة.

فيمكننا أنْ نقول في ظل فهم هذه النصوص:

١.إنّ الجماعة مأمور بها شرعًا، وليست مجرّد مصلحة دنيوية.

٢.إنّ المفارقة عنها تعد خيانة جماعية، وخطرًا على كيان الأمة.

٣.إنّ إقامة الوحدة مسؤولية جماعية تشمل العلماء، والدعاة، والحكّام، والجمهور.

٣.المبحث الثالث: أسباب التمزق في ضوء النصوص

رغم الوضوح التام الذي جاءت به النصوص الشرعية في الدعوة إلى وحدة الأمة، وتحذيرها الشديد من التفرق والاختلاف، إلّا أنّ واقع الأمة الإسلامية لا يزال يعاني من مظاهر التمزق والتشظّي على مختلف المستويات. وتبرز هنا أهمية العودة إلى هذه النصوص لاستخلاص أسباب التمزق من منظور شرعي، ومحاولة معالجة جذورها الفكرية والاجتماعية، لا الاكتفاء بنتائجها السياسية الظاهرة.

وقد كشفت النصوص ذاتها عن أهم هذه الأسباب، إمّا بشكل مباشر أو من خلال السياق، ومن أبرزها:

٣.١ الفهم الخاطئ للنصوص وتأويلها

يُعدّ سوء الفهم للنصوص الشرعية، أو تأويلها بعيدًا عن مقاصدها، من أخطر الأسباب التي أدّت إلى التفرّق بين المسلمين. فقد حذّر الله تعالى من الذين يبتغون الفتنة ويتبعون المتشابه، فقال: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

وهذا يشير إلى أنّ المنهج غير السليم في التعامل مع النصوص، دون الرجوع إلى ضوابط اللغة والسياق وأقوال العلماء، يؤدي إلى الافتراق العقدي والفكري، بل ربّما يُستعمل الدين نفسه كأداة لتبرير الفرقة والتكفير.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المسلك حين قال في وصف الخوارج: "يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية"(١٧)، أي: أنّهم يتمسكون بالنصوص ظاهرًا، لكنّهم يفارقون روحها ومقصدها.

٣.٢ النزاعات المذهبية والسياسية

تُعدّ النزاعات التاريخية بين الفرق والمذاهب من أبرز مظاهر التمزق في الأمة، خاصة حين تتحول المذاهب من اجتهادات علمية إلى هويات متنازعة تُقدَّم على رابطة الإسلام الجامعة. وقد وقع ذلك في عصور كثيرة، حين طُوّعت النصوص لخدمة العصبيات، وتحوّلت الخلافات الفقهية إلى صراعات طائفية وفتن دامية.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الروم: ٣٢]، وهو تحذير صريح من تحويل الدين إلى مجموعات متنازعة، يُكفّر بعضها بعضًا، ويُوالي بعضها الطائفة ويُعادي أخرى لاختلاف في مذهب أو موقف.

كما أنّ السلطة السياسية – عبر التاريخ – كانت سببًا في الانقسام أحيانًا، حين استُخدمت النصوص لتبرير القمع، أو الاستبداد، أو الشرعنة للتمرد، وفق الهوى والولاء لا النص والفهم السليم.

٣.٣ التوظيف السلبي للإعلام

في العصر الحديث، أصبحت وسائل الإعلام من أهم أدوات تشكيل الرأي العام، لكنّها استُخدمت – في كثير من الأحيان – لتأجيج الخلافات الطائفية، وتعزيز الانتماءات الجزئية على حساب الانتماء الإسلامي العام. وغابت عن الخطاب الإعلامي – في الغالب – النصوص الوحدوية، فحلّت محلّها الشعارات الحزبية والمواقف الموجهة.

وقد نبّه القرآن إلى خطورة نشر الفتنة والتثبيط، فقال في وصف المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة: ٤٧]، وهي إشارة يمكن أن نفهم منها بأنّ الكلمة الإعلامية قد تكون أخطر من السيف في تمزيق الصف وإضعاف الأمة من داخلها.

الخاتمة

الحمد لله أولًا وآخرًا ظاهرًا وباطنًا وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وفي الختام أقول مستعينا بالله، فقد وصلت من خلال هذه الدراسة إلى جملة من النتائج المهمة التي تُظهر بوضوح مركزية الوحدة، وأهميتها في النصوص الإسلامية، وتُبرز أسباب التمزق في ضوء فهمها وتأويلها، ويمكن تلخيص أبرز هذه النتائج فيما يأتي:

١.إنّ مبدأ وحدة الأمة أصل شرعي راسخ، أسّسته النصوص القرآنية والحديثية، وربطته بالعقيدة الصحيحة.

٢.إنّ النصوص الشرعية لم تعالج الوحدة بوصفها خيارًا اجتماعيًا أو سياسيًا فقط، بل قدمتها في إطار عقدي تعبّدي، يقتضي من الأمة التزامًا دينيًا دائمًا، تتجلى آثاره في كل مستويات الاجتماع الإسلامي.

٣.إنّ السنة النبوية أكدت على الجماعة كقيمة دينية، لا تنفصل عن الأمن العقدي والسياسي والاجتماعي، وجعلت الخروج عنها موجبًا للوعيد والتحذير.

٤.إنّ من أبرز أسباب التمزق في واقع الأمة الإسلامية: الفهم الخاطئ للنصوص، والنزاعات المذهبية والطائفية، والتوظيف السلبي لوسائل الإعلام، وهي أسباب قابلة للمعالجة إذا أُعيد توجيه الأمة إلى مرجعيتها النصية الصحيحة.

٥.إنّ الخطاب الإسلامي في كثير من صوره المعاصرة قد غاب عنه التأصيل النصي لمبدأ الوحدة، وانشغل بخلافات جزئية، أو تأويلات انتقائية، ما أضعف فاعلية النصوص في تشكيل الوعي الجماعي.

٦.إنّ وحدة الأمة لا تتحقق بالخطاب العاطفي فقط، وإنّما عبر بناء وعي وحدوي متجذّر في النصوص، ومستند إلى فهم علمي منضبط بمقاصد الشريعة.

وبناءً على ما توصّلت إليه هذه الدراسة، فإنّ الباحث يُوصي بما يلي:

١.ضرورة إعادة الاعتبار للنصوص الوحدوية في الخطاب الإسلامي، وتقديمها في مناهج التعليم والدعوة والإعلام بوصفها أصولًا شرعية، لا مجرّد توجيهات أخلاقية أو اجتماعية.

٢.إدماج مبدأ الجماعة والوحدة في مناهج العلوم الشرعية، لا سيما في العقيدة والتفسير وأصول الفقه، لإبراز العلاقة بين النصوص ومقاصدها الجامعة، وتصحيح المفاهيم المغلوطة حول التفرّق.

٣.تشجيع البحث العلمي في قضايا الوحدة الإسلامية، عبر أطروحات أكاديمية ودراسات تطبيقية تستثمر النصوص الشرعية في فهم أسباب التفرّق واقتراح الحلول الواقعية المستندة إلى المرجعية الدينية.

٤.توجيه الخطاب الإعلامي الإسلامي نحو دعم الوحدة، من خلال مواد إعلامية تحترم النصوص، وتُبرز جوانب التراحم والتكامل بين مكونات الأمة، وتُبعد عن إثارة الخلافات المذهبية والسياسية الضيقة.

٥.التحذير من توظيف النصوص في الصراعات السياسية والطائفية، والتمسك بمنهج التفسير المقاصدي للنصوص، والاستئناس بأقوال العلماء المعتبرين في الفهم الصحيح لمضامينها.

٦.تعزيز مبدأ الجماعة في المجال السياسي والاجتماعي، وتربية الأفراد والجماعات على فقه السمع والطاعة، وتقديم المصالح العليا للأمة على الخلافات الجزئية.

الهوامش

---

(١) أريد أن أشير إلى أنّ هذا البحث مستل من أطروحة دكتوراه- أطروحتي- قدمت إلى كلية العلوم الإسلامية الأساسية، بجامعة حران، وقد أعيدت صياغته وتكثيفه بما يتناسب مع متطلبات النشر في المجلات العلمية.

(٢) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، (٩٠/٦).

(٣) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان الداري، ط١، دار القلم بيروت، ١٤١٢هـ (٤٩٤/٢).

(٤) محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ١٤١٠هـ ص٩٤.

(٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (٢٧/١).

(٦) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر مصر ٢٠٠٣م، (١٩٦/١٣)؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخرزجي

شمس الأئمة (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب العلمية القاهرة مصر، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، (١٧/٤).

(٧) محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ٢٠٠١م، (٤٥٤/١٥).

(٨) الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق، شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] – عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، رقم الحديث: [١٨٤٤٩]، (٣٩٠/٣٠).

(٩) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم، رقم الحديث [٢٥٨٦]، (١٩٩٩/٤).

(١٠) أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ – ٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] – محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م، كتاب السنة، باب لزوم الجماعة، رقم الحديث: [٤٧٥٨]، (١٣٦/٧).

(١١) رسالة التقريب مجلة فصلية – العدد الثاني / محرم الحرام ١٤١٤-١٩٩٣: ١٨٧

(١٢) أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ هـ – ٥٧١ هـ)، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م، عدد الأجزاء: ٨٠ المحامي، محمد فريد (بك) ابن أحمد فريد (باشا). *تاريخ الدولة العلية العثمانية*. ١ ط. بيروت– لبنان: دار النفائس، ١٤٠١ – ١٩٨١، (مجلد:٤٦، صفحة: ٤٠٩).

(١٣) صحيح مسلم، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، رقم الحديث [١٨٤٨]، (١٤٧٦/٣).

(١٤) سبق تخريجه

(١٥) صحيح مسلم، باب من فرق أمر المسلمين وهو واحد، رقم الحديث [١٨٥٢]، ١٤٨٠/٣.

(١٦) محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م، رقم الحديث [٢١٦٦]، (٤٦٦/٤).

[١٧] سنن الترمذي، باب في صفة المارقة، رقم الحديث [٢١٨٨]، (٤/٤٨١).

المصادر والمراجع

القرآن العظيم

١. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، صحيح مسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي [ت ١٣٨٨ هـ]، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، عام النشر: ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.

٢.أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٣.أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (٢٠٢ - ٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود، المحقق: شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٤.ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت: ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٥.الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق: صفوان عدنان الداري، ط١، دار القلم بيروت، ١٤١٢هـ.

٦. رسالة التقريب، مجلة فصلية- العدد الثاني/محرم/١٩٩٣.

٧.عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر مصر ٢٠٠٣م، (١٣/١٩٦)؛ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الخرزجي شمس الأئمة (ت: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب العلمية القاهرة مصر، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، شكيب أرسلان، الأمير. *تاريخ الدولة العثمانية*. ١ ط. بيروت- لبنان: دار ابن كثير، ١٤٣٢هـ.

٨.محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ٢٠٠١م، كحالة، عمر رضا. معجم *المؤلفين*. بيروت- لبنان: مكتبة المثنى- دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٤٣١.

٩.محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت ٢٧٩ هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر

الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

١٠.محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان ١٤١٠هـ.

١١.مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ)، المحقق، شعيب الأرنؤوط [ت ١٤٣٨ هـ] – عادل مرشد – وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١ م.

References

1.Abu Dawud, Sulayman ibn al-Ash'ath al-Azdi al-Sijistani. *Sunan Abi Dawud*. Eds. Shu’ayb al-Arna’ut and Muhammad Kamil Qarrah Belli. 1st ed. Beirut: Dar al-Risalah al-Alamiyyah, 2009.

2.Ahmad ibn Hanbal. *Musnad Ahmad ibn Hanbal*. Eds. Shu’ayb al-Arna’ut, Adel Murshid et al. Supervised by Abdullah ibn Abd al-Muhsin al-Turki. 1st ed. Beirut: Mu’assasat al-Risalah, 2001.

3.Al-Azhari, Muhammad ibn Ahmad. *Tahdhib al-Lughah*. Ed. Muhammad Awad Mur’ib. Beirut: Dar Ihya’ al-Turath al-Arabi, 2001. — Kahhalah, Umar Rida. *Mu’jam al-Mu’allifin*. Beirut: Maktabat al-Muthanna & Dar Ihya’ al-Turath al-Arabi, 2010.

4.Al-Manawi, Muhammad Abd al-Ra’uf. *Al-Tawqif ‘ala Muhimmat al-Ta’arif*. Ed. Muhammad Ridwan al-Dayya. 1st ed. Beirut: Dar al-Fikr al-Mu’asir, 1990.

5.Al-Raghib al-Asfahani, al-Husayn ibn Muhammad. *Mufradat Alfaz al-Qur'an*. Ed. Safwan Adnan al-Daya. 1st ed. Beirut: Dar al-Qalam, 1991.

6.Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr. *Al-Durr al-Manthur fi al-Tafsir bi al-Ma’thur*. Ed. Hajr Research Center. Cairo: Dar Hajr, 2003. — Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad. *Al-Jami’ li-Ahkam al-Qur’an*. Eds. Ahmad al-Barduni and Ibrahim Atfayish. 2nd ed. Cairo: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1964. — Arslan, Shakib. *Tarikh al-Dawlah al-‘Uthmaniyyah*. 1st ed. Beirut: Dar Ibn Kathir, 2011.

7.Al-Taqrib Journal, Quarterly journal, Issue No. 2, Muharram, 1993.

8.Al-Tirmidhi, Muhammad ibn Isa. *Sunan al-Tirmidhi*. Eds. Ahmad Muhammad Shakir (vols. 1–2), Muhammad Fu’ad Abd al-Baqi (vol. 3), and Ibrahim Atwah Awad (vols. 4–5). 2nd ed. Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi, 1975.

9.Ibn Asakir, Ali ibn al-Hasan. *Tarikh Madinat Dimashq (History of Damascus) *. Ed. Muhibb al-Din Abu Sa'id Umar ibn Gharama al-Umrawi. Beirut: Dar al-Fikr, 1995.

10.Ibn Faris, Ahmad ibn Zakariyya al-Qazwini al-Razi. *Mu'jam Maqayis al-Lughah*. Ed. Abd al-Salam Muhammad Harun. Beirut: Dar al-Fikr, 1979.
11.Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi. *Sahih Muslim*. Ed. Muhammad Fu’ad Abd al-Baqi. Cairo: Isa al-Babi al-Halabi Press, 1955.